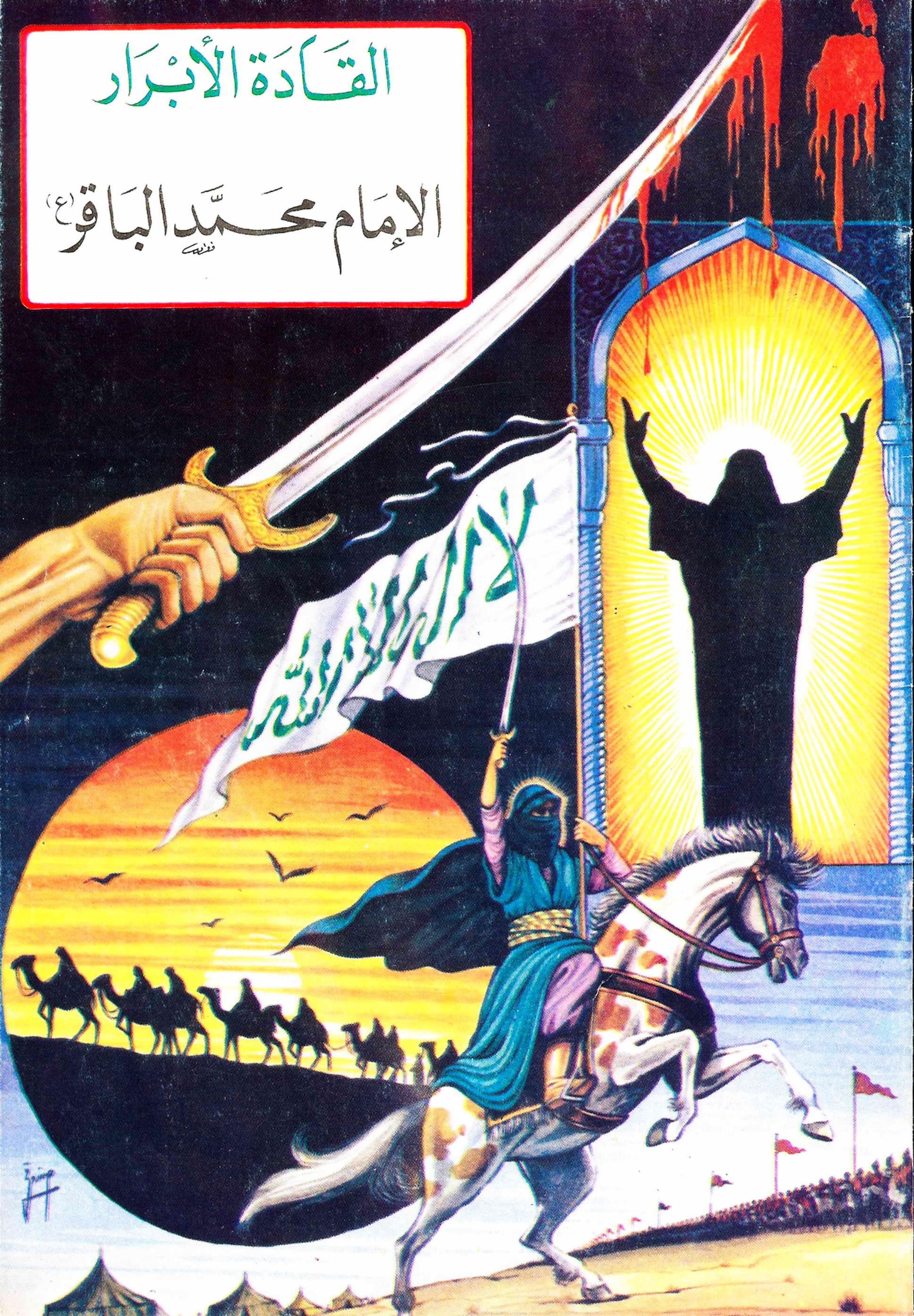


القادة الأبرار
الإمام محمد الباقر (ع)



الإمام محمد الباقر (ع)

القَادَة الأبْرَار

الإمَام محَمَّد البَاقِر (ع)

الدار الاسلامية

الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م



كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب : ١٤٥٦٨ تلكس ٢٣٢١٢ - غدير
فرع ثاني / حارة حريك مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠

الإمام محمد الباقر عليه السلام

الاسم : الإمام محمد الباقر (ع)
اسم الأب : الإمام علي بن الحسين (ع)
اسم الأم : فاطمة
تاريخ الولادة : أول رجب سنة ٥٦ للهجرة
محل الولادة : المدينة
تاريخ الاستشهاد : ٧ ذي الحجة سنة ١١٤ للهجرة
محل الاستشهاد : المدينة
محل الدفن : المدينة (البقيع)

باسمِهِ تَعالَى

ثَمرةُ الشَّجرةِ المُبارَكَةِ

كـانَ لـلإمـامِ الحسنِ عليـهِ السَّـلامُ بِنتٌ اسمُهـا فَاطمةُ. وَكانتْ تَستحِقُّ حَمْلَ هـذا الاسمِ الكَريمِ عن جَـدارَةٍ، فَهيَ تَقيَّـةٌ طـاهِـرةٌ، فـاضِلةٌ عـابِـدةٌ، زاهِـدةٌ صَـالحةٌ، نشـأتْ في بَيتٍ كَريمٍ ، وتَلقَّتْ عُلومَ القُـرآنِ الكريمِ والمعارِفِ الإسلاميَّةِ في بيتِ الرَّسولِ (ص).

اختـارَ الإمامُ الحُسيْنُ عليـهِ السَّـلامُ فـاطِمـةَ ابنـةَ أَخيهِ، زَوجةً لابنِهِ عليٍّ (ع)، وعاشَتْ فاطمةُ الثَّانيةُ معَ عليٍّ الثّـانِي حياةً طيِّبَـةً طاهِـرةً، وَأنجَبا مَـولوداً طـاهِراً عَفيفاً أسمَوْهُ مُحمَّداً، ويُعرفُ باسمِ مُحمدٍ البـاقِرِ، أيْ الَّـذي يَبقَرُ العُلومَ ويشُقُّهـا ويُوَضِّحُهـا ويَحُلُّ أَلغـازَهَا. ويُروى أنَّ الرَّسولَ (ص) هوَ الَّذي أسماهُ بِـالباقِـرِ، قبلَ وِلادتِه، مُستَشِفاً طَوايا الغيبِ. وكـانَ الباقـرُ (ع) شَبيهاً إلى حدٍّ بَعيدٍ بِجدِّهِ الرَّسولِ (ص) ولذلـكَ كانَ يُـدعى بـ «شَبيهِ رسولِ اللّهِ».

طفولةُ الإمامِ وَشريطُ الاحداثِ

حينَ قَدِمَ الإمامُ الحُسينُ عليه السَّلامُ إلى كَربلاءَ، صَحِبَ معهُ أبناءَهُ وأهلَهُ، مَنْ بينِهِمْ زينُ العابدينَ وفاطمةُ وطفلُهما محمّدٌ عليهِمُ السَّلامُ.

كانَ الباقرُ يَبلُغُ الرّابعةَ منَ العُمُرِ، وَفي طفولَتِهِ هذهِ رأى بِأُمِّ عَينيْهِ ما جَرى في كَربلاءَ، رأى مقتلَ جدِّهِ الحُسينِ، ورأى الأصحابَ والأهلَ يَتساقَطونَ على الثَّرى، رأى الدِّماءَ والوَيلاتِ، رأى كيفَ سِيقَ معَ مَنْ تَبَقّى مِنْ أهلِهِ أُسرى إلى الكُوفةِ والشّامِ ، رأى رأسَ جَدِّهِ يُرفَعُ على سِنانِ الرُّمحِ . رَأى أعيادَ وأَفْراحَ النّاسِ ، رَأى طَريقةَ الطّاغيةِ يَزيدَ في مُعامَلةِ أهلِ بيتِ الرَّسولِ . وَكُلُّ ما قِيلَ هُنا وهُناكَ وهُنالِكَ سَمعَهُ وفَهِمَهُ ووَعاهُ. وهكَذا بدأتْ طُفولتُهُ عليهِ السَّلامُ، وَفي غَمرَةِ هَذا الجَحيمِ منَ الأحداثِ المُتَواليةِ، بدأ يتلَقّى عُلومَهُ على يدِ أبيهِ.

أمّا الحُكمُ الأُمَويُّ. فقدْ عانى عليهِ السَّلامُ منهُ الكثيرَ. فقَدْ عاصَرَ حُكمَ يَزيدَ، وشَهِدَ حُكمَ عبدِ المَلِكِ والوَليدِ وهِشامٍ ابْنَيْهِ، كما رَأى مَسلكَ

الحَجّـاجِ ابنِ يُوسُفَ، هـذا الذِّئبِ منْ ذئـابِ جَهنَّمَ، رَأى الحِصارَ الّذي فُرِضَ على أبيهِ الجَليلِ ، رأى كيفَ كـانَ النّاسُ يَتحـرَّكونَ بِكـاملِ حُـرِيَّتِهِم؛ فَيقولـونَ مـا يَشاؤُونَ ويَكتبُونَ ما يَشاؤُونَ، إلاّ أهـلَ بيتِ الرَّسـولِ ، فـالحُرِّيَّـةُ مَحـظورَةٌ عَليهِم، والنّـاسُ لا يَجْـرُؤُونَ على الاقْتِـرابِ منْ بيتِ الإمامِ ، أوْ سؤالِـهِ عن أَيِّ مَسـأَلَـةٍ، دينيـةٍ كـانتْ أمْ غيـرَ ذَلِـكَ، لا لِشيءٍ؛ إلاّ لأَنَّ زينَ العـابِدينَ هُـوَ ابنُ الحُسينِ وحفيـدُ عليٍّ بنِ أَبي طـالبٍ عَليهِمْ السَّلامُ.

ورَغمَ هذا التَّضييقِ الشَّديـدِ فَقدْ كانَ هُناكَ رِجـالُ صِدْقٍ، لا يَأْبَهـونَ لأَوامِرِ الحُكّـامِ ، ويَحضُرونَ لِلقـائِهِ عليهِ السَّلامُ، وكـانَ جابـرُ بنُ عبدِ اللّهِ الأنْصـارِيُّ أَحَدَ هَؤلاءِ. وجابرُ هـوَ آخرُ من بَقِي من أصحـابِ الرَّسـولِ في تلكَ الأَيّامِ ، وقدْ أصبحَ شَيخاً طاعِناً في السِّنِّ.

سلامُ رسولِ اللّهِ (ص)

كان جابـرُ حينَ يجلِسُ في مسجدِ الـرَّسولِ (ص) يُرَدِّدُ: يا باقِرَ العِلْمِ ، يا باقِرَ العِلْمِ . وكانَ أهلُ المدينةِ إذا سَمِعـوهُ يُرَدِّدُ هـذا القوْلَ، يَتعجَّبـونَ ويقـولـونَ: إنَّ

جابراً يَهجُر (أي يَهذي بأقوالٍ غَيْرِ مَفهومَةٍ). فكانَ يُجيبُهُمْ: واللّهِ ما أهْجُرُ، وَلكنّي سمعتُ رسولَ اللّهِ صَلّى اللّهِ عليهِ وآلِهِ يَقولُ: «إنكَ ستُدرِكُ رَجُلاً مِنّي، اسمُهُ اسْمي، وشَمائِلُهُ شَمائِلي، يَبقَرُ العِلمَ بَقْراً». فَذاكَ ما دَعاني إلى ما أقولُ.

كانَ جابرٌ ذاتَ يومٍ في بعضِ طُرقِ المَدينةِ، فَمرَّ بهِ غُلامٌ، فَلمّا رآهُ جابرٌ قالَ: يا غلامُ أقبِلْ، فأقبَلَ، ثُمَّ قالَ لهُ: أدْبِرْ، فأدْبَرَ، ثُمَّ قالَ جابرٌ: شَمائِلُ رَسولِ اللّهِ، والّذي نفسي بيدِهِ. يا غُلامُ ما اسْمُكَ؟ قالَ: اسمي محمدُ بنُ عليٍّ بنِ الحُسينِ. فقامَ جابرٌ يُقبِّلُ رأسَهُ ويقولُ: بِأبي أنتَ وأُمّي، أبوكَ رسولُ اللّهِ (ص) يُقرِئُكَ السَّلامَ، فقالَ مُحمدٌ: وعَلى رَسولِ اللّهِ السَّلامُ ورحمةُ اللّهِ وبَركاتُهُ.

ثم رجَعَ محمدٌ إلى أبيهِ مَذعوراً فأخبرَهُ الخبرَ، فقالَ لهُ: يا بُنيَّ، قد فَعلَها جابرٌ؟ قالَ: نعمْ، قالَ: الْزَمْ بيتِكَ يا بُنَيَّ.

ذلكَ أَنَّ الإمامَ زينَ العابِدينَ (ع) خافَ على وَلَدِه، لأَنَّ الحُكومةَ الأمويَّةَ كانتْ قد فَرضَتْ رَقابةً شَديدةً على الإمامِ وأهلِهِ، فخَشِيَ (ع) أنْ ينالُوهُ بِسوءٍ.



وَفيما بَعدُ.. كانَ جابرُ يَلتَقي ابنَ زينِ العابـدينَ، ويَتبـادَلُ معَـهُ الحـديثَ، وقـدْ أدرَكَ أنَّ عُلومَ ومَعـارِفَ رَسولِ اللّهِ (ص) قد أُودِعتْ عِندَ هذا الغُلامِ. فقالَ لهُ يَـومـاً: أيْ بُنيَّ، إنَّـكَ سَتُعَلِّمُ النّـاسَ أُمـورَ الـدّينِ، وسَتَحُلُّ مَشاكِلَ العُلومِ عندَ الباحِثينَ، وتَرُدُّ على أسئِلةِ السّائِلينَ، يا بْنَ عليٍّ بنِ الحُسينِ بنِ أبي طـالبٍ، إنَّكَ «باقِرُ العُلومِ» إنَّكَ منَ الَّذينَ أُوتوا العِلمَ صِغاراً، وقـالَ فيهم الرَّحمنُ سُبحانَهُ: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيّاً**﴾.

كـانَ قَـد مَضَى على هِجـرةِ الـرَّسـولِ (ص) مـا يُقـارِبُ المِئـةَ عـامٍ، حينَ وَدَّعَ الإمـامُ زينُ العـابِـدينَ الحياةَ، بعدَ أنْ أوصى لابِنِـهِ محمدٍ بـالإمامـةِ، وكانت سِنُّ مُحمَّدٍ عليهِ السَّلامُ تُقارِبُ الأربَعينَ عَاماً.

عَصرُ الإمامِ وشَريطُ الأَحْداثِ

خِـلالَ وِلايةِ الإمـامِ الباقـرِ عليهِ السَّـلامُ، تَعـاقَبَ على حُكمِ العالَمِ الإسلاميِّ كلٌّ منَ الوليـدِ وسُليمانَ، ابْنَيْ عبـدِ الملكِ، ثمَّ عمرُ بنُ عبـدِ العزيـزِ، ثم يَـزيـدُ وَهشامُ ابنا عبدِ الملكِ أيضاً. وكـانـوا إذا زارَ أحـدُهُمْ المـدينةَ، يَحضُـرونَ لِلقاءِ الإمـامِ الباقـرِ (ع)، مُراعـاةً

لِقَدْرِهِ ومَكانَتِـهِ بينَ المُسلمينَ، كَما كـانُوا يُـوَجِّهون لـهُ الدَّعَواتِ أَحيـاناً لِلحُضـورِ إلى دِمشقِ، وكانَتْ غـايتهُم منْ ذلكَ إبعادَهُ عن المـدينةِ، فَـوُجودُهُ فيهـا كانَ يُسبِّبُ لهمْ القَلقَ. ويَخْشَوْنَ تأثيـرَهُ على النّاسِ. خـاصَّةً وأَنَّ الحُكمَ الأُمويَّ في تِلكَ الفترةِ كانَ يَميلُ إلى الضَّعْفِ، وكـانتْ تَقومُ جَمـاعاتٌ في نـواحٍ وأطرافٍ مُختلِفـةٍ منَ البـلادِ تُنازِعُ الأُمَـويّينَ وتُخاصِمهُمْ. الأمرُ الَّذي خفَّفَ الضَّغطَ عنِ الإمامِ (ع)، وأتاحَ للنّـاسِ حُرِّيَّـةً أكبرَ في زِيـارَتِهِ والجُلوسِ إليـهِ والتَّزَوُّدِ من عُلومِـهِ ومَعـارِفِـه. واسْتطاعَ أن يَعقِدَ المجـالسَ كُلَّ صَبـاحٍ، ويُقدِّمَ فيهـا لِتلاميذِه شتّى أنواعِ العُلومِ والتَّربيةِ الدِّينيةِ. لهذا فـإنَّ الـرِّواياتِ التي وصَلتْنـا عنهُ كثيـرةٌ جِداً، وقـد تَقـدَّمَتْ العُلومُ والمَعـارفُ في عصـرِه حتّى سُمِّيَ بـالعصـرِ الذَّهَبِيِّ.

كَما كانَ عصرُه، من ناحيةٍ أخرى، عَصرَ يَقَظَةٍ في صُفـوفِ المُسلمينَ، وكـانَ النّـاسُ قـد أدركُـوا ـ بعـدَ خَمسينَ سَنَةً منْ واقِعةِ كَـربلاءَ ـ أنَّ الأُمـويّينَ يَحكُمونَ باسمِ الإِسلامِ زُوراً وبُهتـاناً، وأَنَّ مسلكَهُم كـانَ بَعيداً كُـلَّ البُعدِ عنْ الإِسـلامِ. وأَنَّ الرِّجـالَ العِـظامَ الَّـذينَ

قـدَّموا أرواحَهمْ في سبيـلِ تَـوعِيـةِ المُسلمينَ وتَقـويمِ الانحـرافِ، قَـد تَـركُـوا لَهمْ دُروسـاً بَليغَـةً واضِحـةَ المَدلولِ ، فَقـامَ المُجاهِـدونَ في كُلِّ مكـانٍ، يَرفَعـونَ لِواءَ الثَّورةِ على الظُّلمِ والفَسادِ، ومِشعـلُ ثَورةِ كَـربلاءَ يُنيرُ لَهمْ الطَّريقَ.

وَفي هـذا النِّطاقِ أَعلنَ كثيـرٌ منَ العَلويّينَ الثَّـورةَ، لكنَّ ثَـوارتِهمْ فَشِلتْ ولمْ تُثمِـرْ، وَحتّى ثَـورةُ زَيـدِ بنِ عَليٍّ، أخي الإمامِ الباقـرِ، كانَ مَصيـرَهَا الفَشَـلُ، فَقدْ تفَـرَّقَ عنـهُ النّاسُ، وتَـركـوهُ مـع نَفَـرٍ منْ أصحـابِـه الصّادِقينَ، يُقارِعـونَ الطُّغـاةَ بِبَسـالـةٍ وإيمـانٍ، حتى غلَبَتْهُم الكثرةُ، وقُتِلَ زَيدٌ وأَصحابُـه. كـانَ زَيـدٌ رَحِمَهُ اللّهُ وَرِعاً تَقِيّاً. وَكانَ لِمقتلِه وَقْعٌ أَليمٌ على أخيهِ الإمامِ الباقرِ (ع) وأهلِه جَميعاً.

وعَلى أَيٍّ حـالٍ، فـإلى جـانبِ مـا رآهُ الإمـامُ الباقرُ (ع) من طُغيانِ الأُمَويّينَ، شَهِدَ كذلكَ قِيامَ طُغـاةِ بَني العَبّـاسِ، وكَما رفـعَ أولئكَ لِـواءَ الإسلامِ كَـذِباً، رَفَـعَ هؤُلاءِ لواءَ أهـلِ البيتِ زُوراً وبُهتانـاً، وصـارَ أبـو مُسْلمٍ وأبـو سَلمَـةَ وسَفـاحُ بني العَبّـاسِ «مُجـاهِـدينَ ثائِرينَ».

حينَ تـولّي عمرُ بن عبـدِ العـزيـزِ الحُكمِ ، حـاولَ إصـلاحَ أمورٍ أفسـدَها مَنْ سَبَقـهُ من حُكّـام بني أُميَّـةَ، فـأبْطَلَ لَعنَ أميـرِ المُؤمنينَ عليهِ السَّـلامُ على المنابـرِ. تِلكَ الوَصمةَ السَّوداءَ في تاريخِ الحُكمِ الأمويِّ، كمـا أمَـرَ بإعـادَةِ «مَزرعـة فَـدَكَ» إلى أهـلِ البيتِ، بعـد أنْ انتُـزِعَتْ منهمْ إلى بيتِ المالِ ، رَغمَ مَعـرفـةِ الجميـعِ بالحقيقةِ، وهيَ أنَّ رسولَ اللّهِ(ص) كانَ قد أعطى هَـذهِ المـزرعةَ الصَّغيـرةَ نِحلَةً لابنَتِهِ الـزَّهراءِ عليهـا السَّلامُ. وهَـذا التَّصَرُّفُ السَّليمُ مِنْ جَانِبِ عُمـرَ بنِ عبدِ العَـزيـزِ يُلقي الضوءَ عَلى وَجهٍ منْ وُجوهِ الإجحافِ الكَثيرِ الَّذي لَحِقَ بآلِ الرَّسولِ (ص) مِنْ بَعدِهِ. كَما أنَّهُ منْ جـانبٍ آخـرَ، أمَرَ بـإعادَةِ تَـدوينِ الحديثِ الشَّـريفِ، بعـدَ أنْ حُظِرَ تَدوينُـهُ لِمدَّةِ مئـةِ عامٍ كـامِلةٍ، لكنَّ عمرَ بنِ عبـدِ العــزيـزِ كسَــرَ هــذا الــطَّوقَ عنْ أحــاديثِ رَســولِ اللّهِ (ص).

مَعَ هشامِ بنِ عبدِ المَلكِ

وخِــلاَلَ حُكمِ هشـامِ بنِ عبــدِ الملكِ. ونَتيجَـةً للتَّضييقِ على آلِ بيتِ الـرَّسولِ (ص) وقفَ جعفـرُ بنُ محمَّدٍ، الابنُ الأكبرُ للإمامِ الباقرِ عَليهِما السَّلامُ، أمامَ



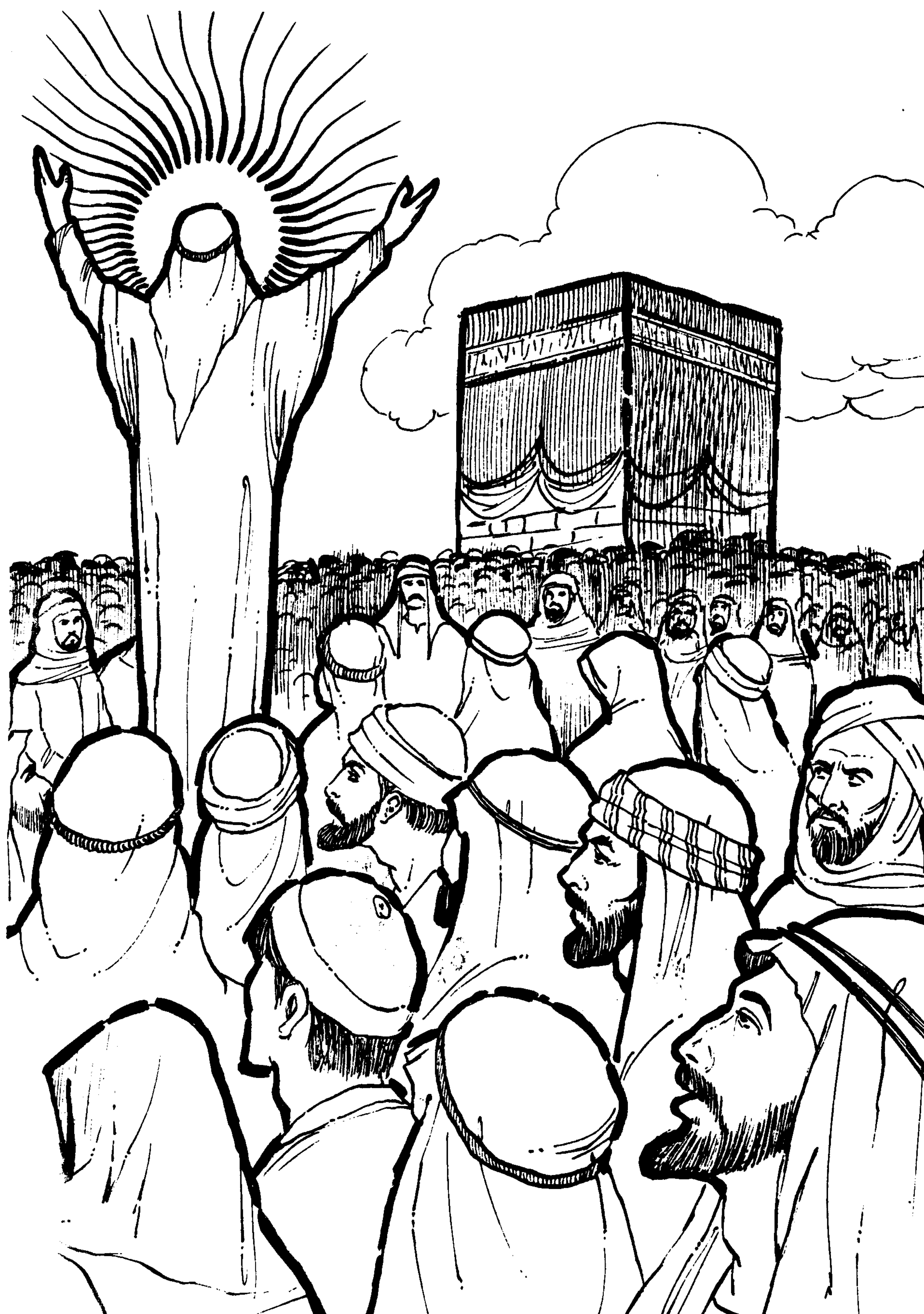
الألوفِ المؤلَّفةِ منَ الرِّجالِ والنِّساءِ، في رحابِ بيتِ اللّهِ، وكانَ فيهمْ مَسلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ أخو هِشامٍ وقَفَ خَطيباً مُعَرِّفاً بأبيهِ وبنفسهِ وقالَ:

«الحمدُ للّهِ الّذي بَعَثَ مُحمداً بالحَقِّ نَبيّاً، وأكرَمَنا بهِ، فَنحنُ صَفْوَةُ اللّهِ في خَلْقِهِ، وَخِيرَتُهُ منْ عِبادِه، فالسَّعيدُ مَنْ تَبِعَنا، والشَّقِيُّ منْ عادَانا وخالَفَنا..».

ترَدَّدتْ كلماتُ حَفيدِ رسولِ اللّهِ بينَ النّاسِ، فَرفَّتْ القلوبُ لِمعانيها، ولَهِجَتْ الألْسُنُ بمراميها، والتَفَّتْ الجُموعُ حولَ قائِلهَا وأبيه. صَلواتُ اللّهِ عليكُمْ يا أهلَ بيتِ رَسولِ اللّهِ، فأنتمْ بِالحقِّ صَفوةُ اللّهِ في خَلقِهِ، وأنتمْ خِيرَتُهُ مِنْ عِبادِهِ..

رأى مَسلَمةُ بنُ عبدِ الملكِ ما جَرى وسَمِعَ ما قيلَ، فَراحَ والحِقدُ يَفرِي أحشاءَهُ، ونقَل إلى أخيهِ كُلَّ ما رأى وَما سَمِعَ.

غَضِبَ هِشامٌ من أقوالِ جَعفرِ بنِ مُحمَّد، وآلَمهُ أنَّ يافِعاً حدَثَ السِّنِ يَجرُؤُ على الوقوفِ أمامَ النّاسِ، يَدعو لنفسِه ولأبيهِ وأهلِهِ، ويَدَّعي أنَّهمْ خُلفاءُ اللّهِ في أرضِهِ! عَجَباً! لَئِنْ كانَ جعفرُ هَذا وأبوه خَليفَتيْنِ للّهِ، فماذا نكونُ نَحنُ إذاً؟!



أمَرهِشامُ عـامِلَهُ على المَدينـةِ أن يَبعثَ بـالإمـامِ الباقِرِ وابنـهِ جَعفرَ إلى دِمشقَ، وكـانتْ دِمشقُ في ذلكَ العَهدِ مَركزاً للحُكمِ الإسلاميِّ، وقـدْ ازدَهرتْ كَثيـراً، فـارتَفعَتْ فيهـا الأبْنيـةُ الكبيـرةُ، وأُقيمتْ المَسـاجِـدُ العظيمةُ. .

اضْـطُرَّ الإمامُ للتَّـوجُّهِ إلى دمشقَ مـع ابنِه، وحينَ وصَـلاهـا، تَجـاهَلَهُما هِشـامُ ثَـلاثـةَ أيـامٍ، دونَ أن يَـدعُوَهُمـا إلى لِقـائِـه. . وكـانَ يَـرمي إلى الاستِهـانَـةِ بـالإمامِ، والحَطِّ من قَـدْرِهِ أمامَ النّـاسِ. . وفي اليومِ الرَّابعِ أرسَلَ يَدعوهُما إلى مَجلِسِه. .

أخَـذَ الإمـامُ وابنُـهُ طَـريقَهُمــا نحـوَ دارَ الحُكمِ، وكـانَتْ تَبدو في أبهى زينَـةٍ، وقَد حَفَّتْ بِهـا الحَـدائقُ الجَميلةُ، واصْـطَفَّ الحَرسُ على الجـانبَينِ، بألبِسَتِهِمْ الـزّاهيـةِ، ووجـوهِهِم العـابسـةِ. . بينمـا وقفَ قـادةُ الجيشِ والوُجهاءُ، وكبارُ بني أميَّةَ يَـرمون السِّهـامَ على هَدفٍ قد نُصِبَ خِصّيصاً لِذلكَ.

دخَـلَ الإمامُ مجلسَ هِشـامٍ، وبـادَرَ الحـاضِـرينَ بـالسَّلامِ، دونَ أن يُسَلِّمَ على هِشـامٍ بـالخـلافـةِ (أيْ دونَ أنْ يـدعُـوَهُ بــاسمِ أميـرِ المؤمِنينَ). فكــانَ هـذا

التَّصــرُّفُ ثقيـلَ الــوطـأةِ على هِشــامٍ ، بَينمـا عقَلَتْ الدَّهشةُ أَلسِنةَ الحُضورِ . .

يَقول الإمامُ الصّادقُ عليهِ السَّلامُ:

« . . فلمّـا دَخلْنـا، كـان أبي أمـامي وأنـا خَلفَـهُ، فَنــادى هِشــامٌ: يــا مُـحـمــدُ، ارمِ مـعَ أشيــاخِ قومِكَ . . . . » .

فقالَ أبي : «قد كَبِـرتُ عن الرَّميِ ، فـإنْ رأيْتَ أن تُعفِيَني . . » .

فصاحَ هِشـامٌ: «وحقِّ منْ أعــزَّنـا بـدينِهِ ونبيِّــهِ محمدٍ (ص) لا أُعفيكَ . . »

وظَنَّ الطّاغيةُ أنَّ الإمـامَ سوفَ يُخفِقُ في رِمـا يتِهِ، فَيتخِـذُ ذلكَ وسيلةً للحطِّ من شـأنِهِ أمـامَ الغـوغـاء من أهـلِ الشام ؛ وأومَـأ إلى شَيـخٍ من بني أميَّـة أن يُنـاول الإمامَ (ع) قوسَهُ، فتناولَـهُ وتناولَ معـهُ سَهماً، فَـوضَعه في كَبِدِ القَوسِ ، ورمَى بـهِ الغَرَضَ فـأصابَ وسَطَـهُ. ثُمَّ تنـاولَ سهمــاً فــرمى بــهِ فشَقَّ السهمَ الأَوَّلَ إلـى نَصلِهِ، وتـابعَ الإمــامُ الـرَّميَ حتّى شَقَّ تسعــةَ أسهُمٍ بعضُها في جوفِ بَعضٍ . . وجعلَ هِشامٌ يضـطَرِبُ منَ الغيظِ . . فلمْ يتمالكْ أنْ صاحَ :



«يـا أَبـا جعفـر، أنتَ أرمى العـربِ والعَجمِ !! وزعَمتَ أنَّكَ قد كَبرتَ!! ».

ثم أدرَكَتْهُ النَّدامـةُ على تَقريـظِهِ للإمـامِ ، فأَطـرقَ بـرأسِهِ إلى الأرضِ والإمـامُ واقِفٌ، ولما طـالَ وُقـوفُـه غَضِبَ (ع) وبأنَ ذلكَ على وُجهـه الشَّريفِ، وكـانَ إذا غَضِبَ نـظرَ إلى السَّمـاءِ. ولمـا بَصُرَ هشـامٌ غَضَبَ الإمـامِ قامَ إليـه واعتَنَقه، وأجْلَسَـه عنْ يَمينِـه، وأقبـلَ عليهِ بوجهِهِ قائِلاً:

«يـا مُحمـدُ، لا تَـزالُ العَـربُ والعَجَمُ تسـودُهـا قُريشٌ، ما دامَ فيها مِثلُكَ، لِلّهِ دُرُّكَ!! مَنْ علَّمكَ هـذا الـرَّميَ؟ وفي كـمْ تَعـلَّمتَـهُ؟ أَيـرمي جَعـفـرُ مثـلَ رميكَ؟ . . »

فقـالَ أبو جعفرَ عليهِ السَّـلامُ: «إنّا نحن نَتـوارَثُ الكَمالَ».

فَاحمَرَّ وَجهُ الطّاغِيَةِ مِنَ الغيْظِ، وَقالَ:

«أَلَسْنا بَني عبدِ مَنافٍ، نَسبُنا ونَسبُكم واحدٌ؟ ».

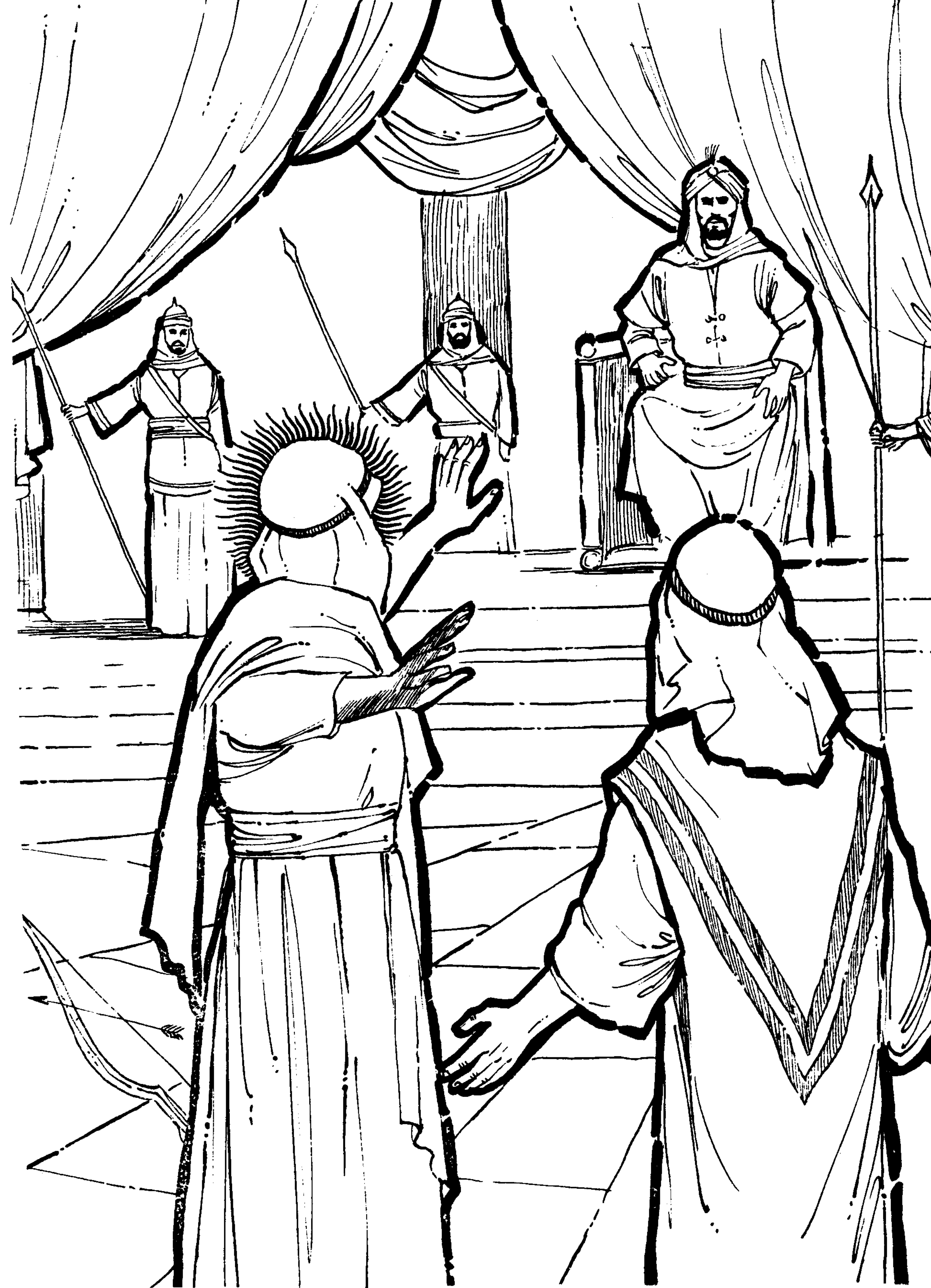
وردَّ عليـهِ الإمامُ مَـزاعِمَهُ قـائلاً: «نحنُ كـذلـك، ولكِنَّ اللّهَ اخْتصَّنـا من مَكنُونِ سِـرِّهِ وخـالِصِ عِلمِـه، بِما لمْ يَخُصَّ بِهِ أَحَداً غيرَنا. . ».

وطَـفِقَ هِـشَــامٌ قــائــلاً: «أليسَ الّـلهُ قــد بعـث محمداً (ص) منْ شجرةِ عبدِ مَنافٍ إلى النّـاسِ كافّـةً، أبيَضِهـا وأحمَرِهـا وأسـوَدِهـا، فَمِنْ أينَ ورِثْتُم مـا ليسَ لِغَيْركُم؟ ورسولُ اللّهِ مَبعوثٌ إلى النّاسِ كـافّةً، وذلـكَ قــولُ اللّهِ عــزَّ وجــلَّ: ﴿وَلِلّهِ مِيــراثُ السَّمــواتِ والأَرْضِ﴾. فَمِنْ أَيْنَ وَرِثْتُمْ هَــذَا العِلْمَ؟ وليسَ بعـدَ مُحمدٍ نَبِيٌّ، ولا أنتمْ أنبياءُ. . ».

قــالَ الإمامُ: «مِنْ قَـولِه تَعـالى لِنبيِّهِ: ﴿لَا تُحَـرِّكْ بِـهِ لِسانَـكَ لِتَعْجَلَ بِـهِ﴾. فَالّـذي لمْ يُحرِّكْ بـه لِسانَـهُ لِغيرِنا، أمرَهُ اللّهُ تعالى أَنْ يَخُصَّنا بِهِ منْ دُونِ غَيرِنا. . . وَلـذلك قـالَ عليٌّ عليـهِ السَّلامُ: «عَلَّمَني رَسُـولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليـهِ وآلهِ ألفَ بـابٍ مِنَ العِلمِ، يُفتَـحُ منْ كُـلِّ بابٍ أَلفُ بـابٍ». خَصَّه بـهِ النَّبيُّ، وعَلَّمَـه مـا لمْ يَخُصَّ بهِ أَحَداً منْ قَوْمِهِ، حتّى صـارَ إلينا فتَـوارَثْناهُ من دونِ أهلِنا. . ».

وَالتاعَ هِشامٌ، ولمْ يدْرِ ماذا يَرُدُّ عليهِ، ثُمَّ قـالَ لهُ: «سَلْ حاجَتَكَ. . ».

قـالَ الإمـامُ: «خَلَّفتُ أَهلي وعِيـالي مُستَـوْحِشينَ لِخُروجِي. . ».



قالَ هِشامٌ: «آنَسَ اللّهُ وحشَتَهمْ بِرُجوعِك إليهمْ، فَلا تَقُمْ وَسِرْ مِنْ يَومِكَ..».

معَ العالِم النَّصرانِيِّ

لمّا كانَ الإمامُ (ع) في الشّامِ، التَقَى بِنفرٍ مِنَ النَّصارَى كانُوا مُتَوَجِّهينَ لِزيارَةِ كبيرِ عُلمائِهم، وذلكَ بِمُناسَبةِ أحدِ أعيادِهم، فسارَ مَعَهُم.. وكانَ النَّصارى يَعيشُونَ في كَنَفِ الإسلامِ أَحراراً، يُمارسونَ طُقوسَهُم وعِباداتِهِم كَيْفَما شَاؤوا.

دخلَ الإمامُ الباقرُ (ع) علَى العالمِ النَّصرانِيِّ، وهوَ قسّيسٌ كبيرٌ، ولَمّا اسْتَقَرَّ بهِ المَجلسُ نظرَ إليهِ العالِمُ وسَأَلَه وهوَ لا يَعْرِفُهُ:

مِنّا أنتَ، أمْ منَ الأُمَّةِ المَرحُومةِ؟

فَأجابَهُ (ع): منَ الأُمَّةِ المَرحومةِ.

فَسألهُ: مِنْ عُلَمائِها أمْ مِنْ جُهّالِها؟

فأجابَهُ: لستُ من جُهّالِها.

سألَ العالِمُ: أنتمْ الّذينَ تَزعُمونَ أنَّكمْ تذهَبونَ إلى الجَنَّةِ؛ فتَأْكُلونَ وتَشْربُونَ ولا تُحْدِثُونَ؟!

قالَ الإمامُ: نعَمْ.

قالَ: هاتِ بُرهاناً على هَذا .

قـالَ الإمامُ: نَعمْ، الجَنينُ يـأكُلُ في بـطنِ أُمِّهِ منْ طَعامِها، ويَشربُ منْ شَرابِها، ولا يُحْدِثُ.

فَبُهِـرَ العالمُ وقـالَ: ألستَ زعَمْتَ أنَّـكَ لستَ منْ عُلَمائِها؟!

فأجَابَهُ الإمامُ: إنَّما قلتُ: لستُ من جُهّالِها.

واستَمـرَّ الأخذُ والـرَّدُّ بينَهمـا طَـويـلاً، حتّى أُفْحِمَ العـالِمُ، وأُسْقِطَ في يدِه. فَصاحَ بِـأصحـابِـه مُغْضَبـاً: واللّهِ لا أُكَلّمُكُمْ، ولا تَـرَوْنِ لي وَجْهـاً اثنَيْ عَشَـرَ شَهراً.

فَقدْ تَوهَّمَ أنَّهم عَمَـدُوا إلى إدخالِ الإمـامِ عَليهِ، لإفْحامِهِ وإظهارِ عَجزِه.

وانتَشَـرتْ قِصَّةُ الإمـامِ مـعَ العـالِمِ المَسيحيِّ في دِمشْقَ، وَعَرفَ النّاسُ قَدْرَ الإمامِ البـاقِرِ عليـهِ السَّلامُ، وإحاطَتَهُ بِشَتّى العُلومِ والمعارِفِ.

وَوصلتْ القصـةُ إلى مَسامـعِ هِشـامٍ . ومَيـلاً منـهُ إلى مُضـايَقَـةِ الإمـامِ ؛ أرسـلَ مَبعُـوثينَ إلى المـدنِ الـواقِعـةِ على الـطَّريقِ إلى يثْرِبَ، فنَشـرُوا أكـاذيبَ مُؤدّاهـا أن ابنَ علـيٍّ بن الـحُسينِ قـد دخـلَ دَيْـراً

للنَّصارى، وأنَّهُ مالَ إلى شَريعَتِهِم.. !! وَصارُوا يُحرِّضونَ النّاسَ على مُقاطعَتِهِ؛ فلا يُحدِّثُوهُ ولا يُبايعوهُ، ولا يَستَضيفُوه في بُيوتِهِم، وأمَروهُمْ فوقَ ذلكَ أن يُغلِقُوا الأبوابَ في وَجهِهِ.. !

آياتُ العَذابِ

خَرجتْ قافلةُ الإمامِ من دِمشقَ في طريقِها إلى المَدينةِ، حتّى وصَلتْ إلى بَلدةٍ كَبيرَةٍ، وكانَ الإمامُ ومُرافِقوهُ على قَدْرٍ كبيرٍ منَ التَّعَبِ والعَطشِ، فحَطّوا رِحالَهُم قُربَ البَلدةِ لِلتَّزوُّدِ بالماءِ والطَّعامِ قبلَ أنْ يُتابِعوا طَريقَهم، لكنَّ أَهلَ البلدةِ أغلَقُوا أَبوابَها في وُجوهِهِم.. والنّاسُ أخيراً على دينِ مُلوكِهِمْ..

كانَ أفرادُ القافلةِ قدْ أتَوْا على كُلِّ ما معَهم منْ ماءٍ وزادٍ، وقد أُغلِقَتْ دونَهُمْ الأبوابُ. فَحارُوا في أمرِهِم..

اعْتَلى الإمامُ عليْهِ السَّلامُ صَخرةً هُناكَ، وراحَ يَتحَّدثُ إلى أهلِ المَدينةِ، وَيَنْصحهُم بِصبرٍ ولِينٍ، لكنَّهمْ لم يَستمِعوا إليهِ، وأصَرّوا بِعنادٍ على موقِفِهم، ولمّا يَئِسَ مِنهُم رفَعَ صوتَهُ عالياً. وراحَ يَتلُو آياتِ



العَـذابِ، التِّي تَلاهـا النَّبيُّ شُعَيْبُ على قَوْمِـه، وَقالَ: ﴿بِسْمِ اللّهِ الـرَّحمنِ الـرَّحيمِ. وَإِلَى مَــدْيَنَ أَخَـاهُمْ شُعَيْباً، قَالَ يـا قَومِ اعْبُـدوا اللّهَ ما لَكمْ مِنْ إِلـهٍ غَيْرُهُ، وَلاَ تَنْقُصُــوا المِكْيَـالَ وَالمِيـزَانَ، إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْــرٍ، وَإِنِّي أَخَـافُ عَلَيْكُمْ عَـذَابَ يَـوْمٍ مُحِيطٍ. وَيَـا قَـوْمِ أَوْفُـوا المِكْيَالَ وَالمِيـزَانَ بِالقِسْطِ، وَلاَ تَبْخَسُـوا النَّاسَ أَشْيَـاءَهُمْ، وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِـدِينَ. بَقِيَّـةُ اللَّهِ خَيْرٌ لكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾..

ثُمَّ قالَ: يا أهـلَ المدينَـةِ الظَّالِمِ أَهْلُهـا، أَنا بَقيَّـةُ اللّهِ..»

فَمــا أتمَّ كَلامَــهُ حَتّى بــادرَ شَيــخٌ مِنْ شُيــوخِ المَدينَةِ، ونَادى أهلَ قريَتِهِ قائِلاً: يـا قَومِ، هـذِهِ واللّهِ دَعوةُ شُعَيْبٍ، فاخْشَوْا رَبَّكُمْ وافْتَحوا الأبوابَ أمامَ هـذا الرَّجُلِ الرَّبّانِيِّ، فـإِنْ لمْ تفعَلُوا نَزلَ بِكمْ العَـذابُ. يا قــومِ، إنّـي أخــافُ عَليـكُمْ، وإِنّـي لـكـمْ نَـاصِـحٌ فَاسْتَمِعُوا..

خـافَ النّاسُ منْ تَحـذيرِ هـذا الرَّجـلِ الحَكيمِ، وقـدْ أدْرَكُوا أنَّهم يَخْـطُونَ نحوَ العَـذابِ، لأَنَّهم يقِفُونَ في وجــهِ ابْنِ نَبيِّـهِمْ، لا لِـشيْءٍ إلاّ لـيَنــالُـوا رِضَـى

هِشامٍ . . فبادَرُوا إلى الأَبوابِ وفَتحوها، وراحُوا يَلتَمِسونَ من الإمامَ العفوَ والغُفْرانَ . .

نَعَمْ، ففي كُلِّ إنسانٍ فِطرةٌ لا بُدّ أن تَتَحرَّكَ، وضَميرٌ لا بُدَّ أنْ يَستيقِظَ . .

حَياةٌ حافِلَةٌ

كانَ عصرُ الإمامِ الباقرِ عليهِ السَّلامُ، منْ أَدقِّ العُصورِ الإسلاميَّةِ، وأكثرِها حساسِيَةً، فقد نشأَ فيهِ الكثيرُ من الفِرَقِ الإسلاميَّةِ، وتصارَعتْ فِيه الأحزابُ السِّياسِيَّةُ، كما عَمّتْ النّاسَ رَدَّةٌ قويَّةٌ إلى الجاهِليَّةِ وأمْراضِها، فَعادُوا إلى الفخْرِ بالآباءِ والأنسابِ، مِمّا أثارَ العَصَبيّاتِ القَبَلِيَّةَ، وعادَتْ الصِّراعاتُ القَبَلِيَّةُ إلى الظُّهورِ، وهذا ما شَجَّعَ عليهِ حُكّامُ بني أميَّةَ، كما انتشَرتْ مَظاهِرُ التَّرَفِ واللَّهوِ والغِناءِ، والثَّراءِ الفاحشِ غيرِ المَشْروعِ .

تَصدّى الإمامُ عليهِ السَّلامُ لِكلِّ هذهِ الانْحِرافاتِ، فَأقامَ مَجالسَ الوعْظِ والإرشادِ، كي يحفَظَ لدينِ جَدِّهِ نَقاءَهُ وصَفاءَهُ .

كمَا تصدّى عليهِ السَّلامُ لِلفِرَقِ المُنحَرِفَةِ، فاهْتَمَّ بِرِعايَةِ مَدرَسةِ «أهلِ البيتِ» الّتي أنشأها جَدُّه أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليهِ السَّلامُ، ثُمَّ مِنْ بعدِه الأئمَّةُ الأطهارُ من وُلْدِهِ. وقد التَفَّ حولَ الإمامِ الباقرِ عُلمَاءُ كَثيرونَ، نَهَلُوا منْ صافِي عُلومِهِ ومَعارِفِه في الفِقهِ وَالعَقيدَةِ والتَّفسيرِ وَعُلومِ الكَلامِ.

وَبعدَ عُمُرٍ قَضاهُ في الدَّعوةِ إلى اللّهِ، ونَشْرِ العُلومِ والمعارِفِ، كما قَضاهُ في مُقارَعَةِ البَغْيِ والظُّلْمِ والانْحِرافِ عنْ الدّينِ؛ دَسَّتْ لهُ السُّمَّ يدٌ أثيمةٌ، لا عَهْدَ لَها باللّهِ ولا باليومِ الآخِرِ، يَدٌ مِنْ أيدي أعدائِهِ بني أُمَيَّةَ، الذينَ خافُوا مِنهُ سُمُوَّ خُلُقِهِ، وعَظيمَ تَقواهُ، ورِفعةَ مَنزِلَتِهِ، والْتِفافَ النَّاسِ مِنْ حَوْلِه.

وانْطوتْ بِموتِ باقرِ عُلومِ الأوَّلينَ والآخِرينَ، صَفحةٌ رائِعةٌ منْ صَفَحاتِ الرِّسالةِ الإسلامِيَّةِ، أَمَدَّتْ المجتمعَ الإسلامِيَّ بِعناصِرِ الوَعْيِ والتَّطَوُّرِ والازْدِهارِ.